الأساس النظري العام، في حين لا يتطرقون الى تفصيلاته وتبعاته وآثاره، وكيفية حل المشكلات الناجمة عن تنفيذه في حال تحقيقه؛ لذا فمن الواجب دراسة كل أساس على حدة، وبأكبر قدر من الموضوعية حتى نكون مدركين بحقيقة معنى ما ننادي به، أو ما يقوله الآخرون.

صراع الوجود

سبق ان أوضحنا، ان المفهوم البسيط لهذا الأساس النظري للقضية الفلسطينية يعني ان وجود اسرائيل ينفي الوجود الفلسطيني، كما ان الوجود الفلسطيني ينفي الوجود الاسرائيلي، وبالتالي فان حل الصراع، أو على الأصح، حسم الصراع وليس تسويته، يتمّ من طريق ازالة اسرائيل من الوجود، وغالباً ما يعني، أيضاً، خروج اليهود الذين قدموا الى اسرائيل من هذه الأرض ليفسحوا في المجال للفلسطينيين في العيش فيها.

وعلى الرغم من امكان فهم هذا الأساس النظري وربما وضوحه، الا انه، أولاً، لا يجيب على سؤال أين يذهب اليهود الذين قدموا الى اسرائيل، والذين ولدوا، فعلاً، في فلسطين. وعاشوا هناك، وانقطعت صلاتهم بالبلاد التي أتى منها اباؤهم، ولم يعودوا يعرفون لهم وطناً غير الأرض التي تربوا عليها. كذلك فان هذه الفكرة لا توضح لنا، أيضاً، ماذا لو رفضت الدول التي قدم منها بعض المهاجرين والذين فقدوا جنسيتهم السابقة واكتسبوا الجنسية الاسرائيلية ان تقبل عودتهم، وان تمنحهم الجنسية مرة أخرى.

من جهة أخرى، فانه يمكن مجادلة المنادين بهذا الأساس النظري للقضية الفلسطينية بأنه غير صحيح واقعياً، باعتبار ان الشعب الفلسطيني ما زال موجوداً حتى بعد أكثر من أربعين عاماً من النكبة التي أقامت اسرائيل العام ١٩٤٨، وان هذا الوجود لا يقتصر على مكان دون غيره، فالشعب الفلسطيني موجود داخل الخط الأخضر، أو الأراضي التي احتلت العام ١٩٤٨، وهو موجود، أيضاً، في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين، وهو، أيضاً، موجود خارج فلسطين في المهجر العربي والعالمي على أراضي دول عربية وغير عربية كثيرة يصعب حصرها، وقد احتفظ الفلسطينيون بهويتهم الفلسطينية، بالرغم من عدم الاعتراف بها، وبالرغم من اكتساب بعضهم جنسية أجنبية أخرى.

ثم ان هذا الأساس النظري لا يجد لنا وسيلة لتحقيقه سوى الصراع المسلّح؛ اذ لا يوفر لنا فرصة لتحقيقه بوسائل سلمية، باعتبار حقيقة ان ما أُخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة، وانه ليس من المتوقع ان يقبل اليهود داخل اسرائيل وخارجها بزوالها من الوجود وبمغادرتها بوسائل دبلوماسية أو بالوساطة أو بالتحكيم أو بغيرها، وأي تصور لغير ذلك يصبح منافياً لطبيعة الأمور. وما بالنا وان التغيرات الدولية أدت الى موقف لغير صالحنا وخاصة عسكرياً، بحيث أصبح التفوق الاسرائيلي على الدول العربية مضموناً سواء بواسطة القوة العالمية الغالبة، أو بواسطة التشتت العربي المفجع، والضعف العسكري العربي، الأمر الذي لا يبدو ان الفكاك منه شيء قريب، وكما سبق القول، فان القوى الدولية الاقليمية لا تقبل باستخدام القوة ضد اسرائيل، في حين انها تقبل به ضد العرب، وهي لا تقبل، وغالباً لا تسمح، بزوال اسرائيل بالقوة.

يتبادر الى الذهن أسئلة أخرى عن حقيقة معنى صراع الوجود يمكن تلخيصها في ما يلي: هل المطلوب هو زوال اسم اسرائيل كدولة؟، أم ان المطلوب هو زوال اليهود؟ واذا كان المطلوب زوال اليهود في اسرائيل، فهل المطلوب زوالهم كلهم، أم غالبيتهم، أم بعضهم؟ وفي جميع الأحوال يجب ان